

تفسير البحر المحيط

@ 345 @ والضمير في عليها وعنها في هاتين القراءتين يعود على الأرض ، وفي قراءة الجمهور وهي بحر الأرض ، يعود الضمير على آية أي : يمرون على تلك الآيات ويشاهدون تلك الدلالات ، ومع ذلك لا يعتبرون . وقرأ عبد الله : والأرض برفع الضاد ، ومكان يمرون يمشون ، والمراد : ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر . وهم مشركون جملة حالية أي : إيمانهم ملتبس بالشرك . وقال ابن عباس : هم أهل الكتاب ، أشركوا بالله من حيث كفروا بنبيه ، أو من حيث ما قالوا في عزيز والمسيح . وقال عكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن زيد : هم كفار العرب أقروا بالخالق الرازق المحيي المميت ، وكفروا بعبادة الأوثان والأصنام . وقال ابن عباس : هم الذين يشبهون الله بحلقه . وقيل : هم أهل مكة قالوا : ربنا لا شريك له ، والملائكة بناته ، فأشركوا ولم يوحدوا . وعن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والشعبي ، وقتادة أيضاً ذلك في تلبيتهم يقولون : لبيك لا شريك لك ، إلا شريك هو لك تملكه وما ملك . وفي الحديث كان صلى الله عليه وسلم (إذا سمع أحدهم يقول : لبيك لا شريك لك بقول له : (قط قط) أي قف هنا ولا تزد إلا شريك هلك وقيل : هم الثنوية قالوا بالنور والظلمة . وقال عطاء : هذا في الدعاء ينسى الكفار ربهم في الرخاء ، فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء . وقيل : هم المنافقون ، جهروا بالإيمان وأخفوا الكفر . وقيل : على بعض اليهود عبدوا عزيزاً ، والنصارى عبدوا الكواكب . وقيل : قريش لما غشيهم الدخان في سني القحط قالوا : إنا مؤمنون ، ثم عادوا إلى الشرك بعد كشفه . وقيل : جميع الخلق مؤمنهم بالرسول وكافرهم ، فالكفار تقدم شركهم ، والمؤمنون فيهم الشرك الخفي ، وأقربهم إلى الكفر المشبهة . ولذلك قال ابن عباس : آمنوا محملاً ، وكفروا مفصلاً . وثانيها من يطيع الخلق بمعصية الخالق ، وثالثها من يقول : نفعني فلان وضرني فلان أفأمنوا : استفهام إنكار فيه توبيخ وتهديد ، غاشية نقمة تغشاهم أي ، تغطيهم كقوله : { يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنَ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ } وقال الضحاك : يعني الصواعق والقوارع انتهى . وإتيان الغاشية يعني في الدنيا ، وذلك لمقابلته بقوله أو تأتيهم الساعة أي يوم القيامة ، بغتة أي : فجأة في الزمان من حيث لا يتوقع ، وهم لا يشعرون تأكيد لقوله بغتة . قال الكرمانى : لا يشعرون بإتيانها أي : وهم غيره مستعدين لها . قال ابن عباس : تأخذهم الصيحة على أسواقهم ومواقعهم . وقرأ أبو حفص ، وبشر بن عبيد : أو تأتيهم الساعة { قُلْ هَآذِهِ سَبِيلِىْ أَدْعُو إِلَى اللّٰهِ عَٰلَىٰ بِصِرَٰةٍ أُنَٰمَ وَمَن

اتَّيَّبَعَنِي وَسُبِّحَانَ اللَّيْلِ وَمَا أَزَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ * وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مَنْ أَهْلَ الْقُرَى
أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ { : لما تقدم من
قول يوسف عليه السلام : { تَوَفَّيْنِي مُسْلِمًا } وكان قوله تعالى : { وَمَا أَكْثَرُ
النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } دالاً على أنه حارص على إيمانهم ، مجتهد في
ذلك ، داع إليه ، مثابر عليه . وذكر { وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ } أشار
إلى فيهم من